

تَنْبِيْهُ زَوْجِي الْإِفْهَامِ

إِلَى رَأْبِ الصَّدْعِ ، وَالْوُئَامِ
عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الْكَرَامِ



جمع وإعداد

صالح بن سعد السحيمي

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء



تنبيه ذوي الأفهام

م ب ، ج ، م
م مك ، م ، ،

جمع وإعداد

صالح بن سعد السحيمي

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، تركنا على البيضاء ،
وقال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي »
وذلك بلزوم منهج الأئمة المحمدية ؛ الذي عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ،
وترك ما خالف هذا المنهج من الآراء والأفكار والحزبيات والجماعات المختلفة .
ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة منهجهم الذي كانوا يسرون عليه ، ثم التمسك به عن
علم ، كما قال تعالى : ﴿

﴿ الآية [التوبة : ١٠٠] ﴾

وقد اطلعت على رسالة للشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي تتضمن : الحث على
معرفة هذا المنهج ، والتمسك به ، وترك النزاعات والتفرق عنه ؛ فجزاه الله خيرا ،
ونفع بما كتب ويين ، وذلك بعنوان : (تنبيه ذوي الأفهام إلى رأب الصدع ، والوائام على
منهج السلف الكرام) وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤/٧/١٤٣٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلوة والسلام على نبينا
محمد وتركنا على الهدى وقال: (ابني تارك فيكم ما
أراده عبيدكم به لئلا تضلوا الهدى، كتابه الدروس) ^و
وذلك ما نفهم منه في الأمة المحمدية الذي عليه السلف
الصالح من الصحابة والتابعين. وترك ما خالفه
هذا المنهج من الكفر والأفكار والخرافات والجهالات
التي كانت. ولما تحقق ذلك لا يعرفه من جهة الذي
كما نواير ومنه عليه من التمسك به عند علم. كما قال
تعالى: (وَأَتَى بِفَوْتِهِ أُولُو بُرْهَانٍ مِنْهُ) والذين
والذين آمنوا بهم بأمره رضي الله عنهم ورضوا عنه (الله)
وخذ أطلعت على رسالة الشيخ في الكفر والصلح النجدي
تضمنه الحق على معرفة هذا المنهج والتمسك به وترك الزيادة
والتفويض لغيره. فبما هو هذا أو نحوه مما كنت عليه. وذلك
لصوابه في شئ من ذريته محمد وآله وصحبه
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
١٤٢٧/٧/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :
فقد ألف شيخنا الفاضل العلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر كتاباً للتأليف
بين السلفيين ، وبيان موقف العلماء ممن صدرَ منه خطأ من أهل العلم ؛ سَمَاءُ :
(رِفْقًا أَهْلَ السُّنَّةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ) نصَحَ فِيهِ إِخْوَانَهُ وَأَبْنَاءَهُ بِالتَّأَلُّفِ واجتماع الكلمة ، وعدم
التسرع في إصدار الأحكام على إخوانهم .

وبعد عدَّة سنوات نشر كلمة بعنوان : ومرة أخرى : " رِفْقًا أَهْلَ السُّنَّةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ "
كما نشر أخونا الشيخ الدَّاعِيَةُ المعروف بدر بن علي بن طامي العتيبي كلمة موفَّقة
بعنوان : (ارحموا السَّلفِيَّةَ فَإِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ)
وأنا أقول أيضًا : رِفْقًا أَهْلَ السُّنَّةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ .
وأقول مرة أخرى ارحموا السَّلفِيَّةَ ، في كلمة مُختصرة أرجو أن ينفع الله بها جامعها
وقارئها وطلاب العلم وسائر المسلمين .

وبين يَدَي هذه الكلمة أَذْكَرُ نَفْسِي وإخواني أَهْلَ السُّنَّةِ عَامَّةً وَطُلَّابَ الْعِلْمِ السَّلفِيَّينَ
خَاصَّةً بهذه النُّصوص :

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ [الأنعام : ١٥٢]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢]

وقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ فِئَةً مِّمَّنْ نَّهْنُ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْفَى الْمَتْلَفِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٦-١٨]

وقال : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَبَرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم : ١٠-١٢]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ [الهمزة : ١]

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ : أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ » (٢)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لَا يُلْقِيَهَا بَلَا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » (٣)

وفي رواية : « يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ » (٤)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » وأشار إلى لسانه .

قال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! وَإِنَّا لَمُؤْاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قال : « ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ !

وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (٥)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (٦)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا كُفَّ بِالظَّنِّ ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » (٧)

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢٠٧٢) والطبراني في المعجم الكبير (١١٣٤) وابن وهب في الجامع (٢٩٤) عن بلال بن الحارث

المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٨)

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٠٦٣) وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣) والترمذي في سننه (٢٦١٦) وغيرهم عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦)

(٦) مقدمة صحيح مسلم (١٠/١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٧) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَسْ مَطِيَّةَ الرَّجُلِ : زَعَمُوا »^(١)
 وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ليس الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »^(٢)
 وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن طلب منه الوصية : « لا تغضب »^(٣) وكررها مرارًا .
 وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لا تكونوا عَجَلًا مَذَابِيعَ بُذْرًا)^(٤)

بعد قراءة هذه النصوص المباركة ؛ التي تأمر بحفظ اللسان : وكفّه عن كل ما لا يليق ،
 وإشغاله بالعلم النافع وبذكر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ، وصونه عن السبِّ والشتم والغمز
 واللمز والهمز والغيبة والنميمة (وإذا كان هناك ملاحظات لها وجهٌ ؛ فإنها تُبين
 بحكمة وروية [بأسلوب ليس فيه سبٌّ ولا شتم ولا فظاظه]

قال الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] وقال الله تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] وقال تعالى : ﴿ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]^(٥)

أعودُ فأقول مرةً أخرى : رفقًا أهل السنة بأهل السنة ، وارحموا السلفية .

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٠٧٥) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٣) وأبو داود في سننه (٤٩٧٢) وغيرهم عن عقبة بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٦)
 (٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 (٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 (٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٢٧) وأبو داود في الزهد (١٤٦) ، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٣٤٥٤٠) وابن المبارك في الزهد والرقائق (١٤٣٨) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الإمام الألباني عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٥٠)
 (٥) عجلًا : صيغة مبالغة ممن يشيع الأخبار دون روية - (بذرًا) : الذين لا يكتُمون الشر .

بيان فضل الدعوة إلى الله

من المعلوم لدى كلِّ مُسلم : أن الدعوة إلى الله عز وجل أشرفُ مقام ، وأعظمُ وظيفة ، وأفضلُ طريق يُقَرَّب إلى الله تعالى ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣]
والدعوة إلى الله : وظيفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨]
وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

والداعي إلى الله : يجب أن يكون عالمًا بما يقول ، عارفًا بحال المدعوين ، وما ينبغي أن يُقال ، ومتى يُقال ، وأين يُقال ، مُراعياً في ذلك - أيضاً - الحكمة والمآلات والعواقب والرفق والرحمة ... اقتداءً برسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حيث وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًّا غَلِيظًا أَلْقَيْنَا لَكَ أَفْئُتًا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨]

وما أعظم توجيهُ الله عز وجل لنبيِّه الكريمين موسى وهارون عليهما الصَّلاة السَّلام في مخاطبة ودعوة أعتى كافر ومُلحد في ذلك الوقت ، وهو فرعون :

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لموسى وهارون عليهما الصَّلَاةُ السَّلَام : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٣-٤٤]

وتأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش يوم الفتح : « أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ » (١) [يوسف : ٩٢] ويقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (خدمتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرَ سنين ، والله ما قال لي : أفأقطُ ، ولا قال لي لشيء : لم فعلتَ كذا ؟ وهَلَّا فعلتَ كذا ؟) (٢)

إخواني الدُّعاة وطلاب العلم : اقرأوا هذه النُّصوص ، وتأملوها وتدبِّروها ، واعملوا بها ، وطبقوا ما فيها من توجيهات كريمة لطلاب العلم .



(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٢٧٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٤٥٤) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٠٩) عن ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ .

كَمَالُ هَذَا الدِّينِ

لقد أكرمنا الله تعالى بالإسلام ، وجعله الدين الذي لا يقبل ديناً سواه ، وأودع فيه من بيان العقيدة والعبادة والأحكام والآداب والأخلاق والمعاملات ما لو تمسكنا به لسعدنا في الدارين ؛ فقد أكمله الله تبارك وتعالى للأمة قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] قالت اليهود لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية : (آية في كتابكم تقرأونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت ؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أي آية ؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو قائمٌ بعرفة ، يومَ جُمعة (١)

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥]



(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المرجعُ عندَ التنازع

لقد أكرمنا الله تعالى بالوحيين (الكتاب والسنة) فيجب الرجوعُ إليهما عند التنازع ،
والتحاكمُ إليهما عند الاختلاف ؛ فقد أمر الله تبارك وتعالى بأن نرجعَ في كلِّ أمر
نختلفُ فيه إلى كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩]
قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ : (فإن تنازع العلماء : ردُّوه إلى الله والرسول ؛ فردُّوه إلى كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] (١)

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠]
فقد أمرنا بطاعته وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم طاعة ولاية الأمور في حدود طاعة
الله تعالى ، ثم أرشدنا إلى ردِّ ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله ، أي إلى كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ ؛ بل علّق صحّة الإيذان بذلك بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ : (والأمر التي تتنازعُ فيها الأمة - في الأصول
والفروع - إذا لم تُردُّ إلى الله والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتيّن فيها الحق ؛ بل يصير فيها

(١) تفسير الطبري (٩٨٧٩)

المتنازعون على غير بينة من أمرهم ؛ فإنهم إن رحمهم الله : أقر بعضهم بعضًا ، ولم يَبْغِ بعضهم على بعض ، كما كان الصَّحابةُ في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد ، فيُقرُّ بعضهم بعضًا ، ولا يعتدي ، ولا يُعتدى عليه .

وإن لم يُرْحَمُوا : وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضهم على بعض ، إمَّا بالقول ، مثل تكفيره وتفسيقه ، وإمَّا بالفعل ، مثل حبسه وضربه وقتله .

والذين امتحنوا النَّاسَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، كانوا مِنْ هَؤُلَاءِ ، ابتدعوا بدعة ، وكفروا مَنْ خالفهم فيها ، واستحلُّوا منعَ حَقِّهِ وعُقوبته ؛ فالنَّاسُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إمَّا عادِلون وإمَّا ظالمون ؛ فالعادلُ فيهم : الذي يعملُ بما وصل إليه من آثار الأنبياء ، ولا يظلمُ غيره ، والظالم : الذي يعتدي على غيره .

وأكثرهم إنما يَظْلَمُونَ مع علمهم بأنَّهم يَظْلَمُونَ ، كما قال تعالى : ﴿ **P O N**

﴿ **Q Y X W U T S R** [آل عمران : ١٩]

وإِلَّا فَلَوْ سَلَكُوا مَا عَلِمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ : أقر بعضهم بعضًا ، كالمقلِّدين لأئمة العِلْمِ ؛ الذين يَعْرِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عاجزون عن معرفة حُكْمِ اللَّهِ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك المسائل ؛ فجعلوا أئمتَّهم نُوَابًا عن الرسول وقالوا : هذا غاية ما قَدَرْنَا عليه .

فالعادلُ منهم : لا يظلم الآخر ، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل ، مثل أن يدَّعي أن قول مُقلِّدِهِ هو الصَّحِيح بلا حُجَّة يُبْديها ، ويدَّعِي مَنْ خالفه ، مع أنه معذور ^(١)

(١) شرح الطحاوية (٥٢٨-٥٢٩) طبعة الأوقاف السعودية

وجوبُ التَّثَبُّتِ والترُّيثِ وعدمِ التَّسَرُّعِ في إصدار الأحكام على الأشخاص

دَأَّبَ بعضُ الناسِ على التَّسَرُّعِ في إصدار الأحكام على إخوانهم جُزْأفا دون تَثَبُّتٍ ولا رَوِيَّةٍ ؛ فقد يحكم بالتَّبْدِيعِ والتَّفْسِيقِ والتَّكْفِيرِ ووجوب الهجر والإخراج من السلفية والتَّحْذِيرِ من بعض المشايخ وطلاب العلم السلفيين والإسقاط .. لمرض في نفسه ، أو هوى طغى على تفكيره ، أو لحسدٍ استولى على لُبِّه ، أو بنقلِ عَمَنَ تَوَهُّمٍ أَنَّهُم ثِقَاتٌ عنده ، وَهُم أَرْبَابُ فِتْنَةٍ ، وَأَسْبَابُ فُرْقَةٍ .

فليست السَّلَفِيَّةُ بالمبالغاتِ والتَّسَرُّعِ في الجرحِ دون رَوِيَّةٍ ، وتَبُّعِ الزَّلَّاتِ ، وإلزامِ الناسِ بما لا يلزَمُهُم ، وبترِ الكلامِ ، وعدمِ حَمَلِهِ على المحاملِ الحسنة ، وإسقاطِ البعضِ بدعوى أخبارِ الثَّقَاتِ ، والتَّعَصُّبِ للأشخاصِ ، وَحَصْرِ الحُكْمِ على الآخرينِ في أشخاصِ مُعَيَّنِينَ ، والمُبَادَرَةِ بالردِّ على المُخْطِئِ والمُخَالَفِ قبل النَّصِيحَةِ ، والشَّرْعِ في الأحكامِ من التَّبْدِيعِ والتَّفْسِيقِ والتَّكْفِيرِ دون تَثَبُّتٍ ، والظُّنُونِ والتَّسَرُّعِ في قَبُولِ الأخبارِ ونشرها وإشاعتها معَ عدمِ التَّفَكِيرِ في العواقبِ والمآلاتِ قبل إصدارِ هذه الأحكامِ ...

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ

أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨]

وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنُهُ اللَّهُ رَدَّغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ »^(١)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ فِي عَرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ »^(٢)

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا طُلَّابَ الْعِلْمِ ، وَلَا تَكُونُوا مِعْوَلٍ هَدَمَ يَنْخِرُ فِي عِظَامِ الدَّعْوَةِ ، وَيَنْحَرِفُ بِهَا عَنْ مَسَارِهَا ، وَيُفَرِّقَ السَّلَفِيِّينَ إِلَى شَيْعٍ وَأَحْزَابٍ جَدِيدَةٍ .



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٣٨٥) وابن ماجه في سننه (٣٣٧٧) والحاكم في المستدرک (٢٢٢٢) وغيرهم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٥)

ورَدَّغَةُ الْخَبَالِ : هِيَ غُصَّارَةُ أَهْلِ النَّارِ ، كَمَا جَاءَ تَفْسِيرُهَا مَرْفُوعًا فِي حَدِيثٍ آخَرَ ، انْظُرْ سَنَنَ ابْنِ مَاجَهٍ (٣٣٧٧) وَصَحِيحَ الْجَامِعِ (٦٣١٣)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥١) وأبو داود في سننه (٤٨٧٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٢٨٤) وغيرهم عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٣)

نماذج من الأحكام الجائرة في هذا المنهج الجديد

(١) زعمَ أحدُهم في بعض المواقع أنَّ الشَّيخين الكريمين : الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد المحسن العباد البدر : عالمان جليلان يُستفاد منهما في السنة والحديث والفقه ... ولكن لا يُسألان عن المنهج والرَّجال ؛ بدعوى أن لكلِّ فنَّ رجاله ؛ فمنَ العلماء من ليس فقيها في معرفة منهج السَّلف وتقييم المناهج الوافدة ، وأن ذلك يختصُّ بفلان وفلان فقط !

وأحسبُ أن المشايخ الذين أشار إليهم أنهم هم الذين يُسألون عن المنهج وعن الرِّجال لا يَرْضُونَ بهذا الحُكم الجائر في حقِّ بقية المشايخ ، ولا يُوافقونه على هذا الطَّرح . وهذا يذكِّرني بمقالٍ لأحد زُعماء الحزبيِّين في الدَّاخِل قبل نحو عشرين عامًا ، عندما وصفَ علماءنا بأنهم لا يفقهون الواقع ، وأن الأحزاب الدَّعوية المعاصرة هي التي تفقه أحوال المسلمين ومُخَطَّطات الأعداء ، وأن ذلك حَصَرٌ عليهم ! كما يُذكِّرني بأحدهم قبل نحو عشرين عامًا أو يزيد ، عندما قال : لا نريدُ علماء مُخَنَّطين ووصفَ شيخنا الشيخ مُحمَّد الأمين الشنقيطي بأنه كآلة التَّسجيل التي تحتفظ بما فيها ، دون أن تُسهم في حلِّ المشاكل !

لهذا أقول : علينا أن نتَّقِيَ اللهَ ، ونحترم علماءنا ، وأن ننزلهم منازلهم ؛ فإنَّ النَّيلَ منهم يجرِّئ أعداء الإسلام والأمة على النَّيل من الإسلام .

٢) دأَب هؤلاء المُتسرَّعون على التَّحذير من بعض المشايخ وطلاب العِلْم السَّلَفين الأفاضل بقصد إسقاطهم وتشويه سُمعتهم عندما تدعوهم جهة أو جمعية أو مؤسسة إلى القيام بالدُّروس والدَّورات العلمية ، لا سيما في بلاد الغرب والأقليات الإسلامية في بلاد أوروبا وأمريكا ، وهؤلاء الناس يَحْتَاجُونَ إلى مَنْ يُبَيِّن لهم العقيدة الصَّحيحة وأحكام العبادات ، وبعضهم لا يعرف التَّوحيد من الشُّرك ، وبعضهم حديثُ عهد بالإسلام ؛ فشغلهم بهذا التَّصنيف المتعسِّف ، وهذا التَّحذير (اسمعوا لفلان ، ولا تسمعوا لفلان) والمحدَّر منه لا يُشكُّ في سلفيته ، أو يقول إِنَّ التَّزكيةَ - حَصْرِيًّا - يُؤَتَّى بها من قَبْلِ أشياخ معدودين ؛ فمَنْ جاءكم بتزكية منهم : فاقبلوه ، واسمعوا له ، وهيئوا له الجَوَّ المناسب لِللقاء الدُّروس وإقامة الدَّورات العلميَّة ، ومَنْ أتى بتزكية مِنْ غيرهم : فاطرحوه وحذروا منه وأسقطوه ...

والحقيقة أَنَّ هذا منهجَ حزبيٍّ ضَيِّقٍ ، نتج عنه : تفرُّقٌ وتحزُّبٌ واختلاف بين أصحاب المنهج الواحد ؛ بل ونتج عنه تصدير بعض الأصاغر ، حتى مَنَّ هو حديثُ عهد بالإسلام ؛ ليُصَبِّحَ حَكَمًا على المشايخ وطلاب العلم السَّلَفين ؛ بل ونتج عنه صدٌّ عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وبقاء أولئك الأقليات على جهلهم ، وانتشار الفوضى والشقاق بينهم ؛ بل إِنَّ منهم مَنْ حملوا السِّلَاح على بعضهم وهم يعيشون في دول كافرة ، كما نتج عن هذا المسلك أن توقَّفتْ كثير من الدُّروس والدَّورات العِلْمية المؤصَّلة ؛ لأنَّ الشَّباب في تلك البلاد شُغلوا ببعضهم ، يُدِّعُ بعضهم بعضًا ، ويُفَسِّقُ بعضهم بعضًا ، ورُبَّمَا كَفَّرَ بعضهم بعضًا ! وتركوا العِلْم ، واشتغلوا بِالقِيلِ والقَالِ ،

وَضَعُفَتْ عندهم العبادة والتَّدين ، وقد وُجِدَ منهم من لا يُحافظ على صلاة الجماعة ، وقد صُدِّرَ وأُقِعَّ بتصنيف إخوانه ، وأوهموه بأنَّه العالم العلَّامة الذي لا يُشَقُّ له غُبار ، وأصبح شُغله الشَّاغل تصنيف المشايخ وطلاب العِلْم ، والتحذير منهم مع ما أصابه من مرض العَظْمَة والتَّعالم والاستعلاء والغرور والعُجب ...

وشاهدُ ذلك : هذا الغُثاء الكثير الذي يكتبونه في المواقع العنكبوتية وبرامج التَّواصل الاجتماعي بأسمائهم الصَّريحة أو ألقاب كبيرة مُستعارة .

ألقابُ مملكة في غير مَوضعها كاهِرٌ يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ

فأتَّقوا الله ، ولا تصدُّوا عن سبيل الله ، ولا تفتروا على إخوانكم ، واحملوا أقوالهم على أحسن المحامل (كما هو منهج السَّلف) وذُئِّبوا عن أعراضهم .

فطالب العِلْم السَّلفي هو الذي يجمعُ ولا يُفرِّق ، يجمعُ النَّاسَ على هدي الكتاب والسُّنة ؛ وليس المراد مُجرد التَّجميع الذي ينتهجه الحزبيُّون ، لكنه يسعى جاهداً من أجل جَمْعِ إخوانه على الجادة ، وعلى الصُّراط المستقيم ؛ الذي لا إفراط فيه ولا تفريط .

وَيُبَشِّرُ ولا يُنْفِرُ ، وَيَجْعَلُ مَخَافَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وتقواه دائماً نَصَبَ عينيه ، حتَّى لا يكونَ مِنَ المُفلسين بظلمه إخوانه .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما المُفلس ؟ » قالوا : المُفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ؛ فقال : « إِنَّ المُفلس من أُمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأكلَ مالَ هذا ، وسفكَ دَمَ هذا ، وضربَ هذا ؛ فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ؛ فإنَ فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه : أُخِذَ مِنْ خطاياهم ؛ فطُرحت عليه ، ثُمَّ طُرِحَ في النار »^(١)



(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أهمُّ أسباب الخلاف بين أصحاب المنهج الواحد وطرق علاجه

أولاً : أهم أسباب الخلاف :

إنَّ النَّازِرَ فيما يجري في السَّاحة السَّلفية بين بعض المشايخ وطلاب العلم من تهاجُر وتقاطع وتدابُر ورُدود هزلية (الأمر الذي فَرَحَ به أعداء الإسلام ، كما فرح به أعداء السُّنة ، كما فرحت بها الجماعات والأحزاب الكثيرة المُخالفة لمنهج السَّلف ، كما قد يتسبَّب في بُعد الشباب عن طلب العِلْم ، ؛ بل ربَّما انتكاسهم عن الاستقامة) يَخْلُصُ

€ 0uà € 00أكو تلك الأبطال وأهبة c (ل €"D \$كونه%ب@ 5 Ž ë

وهذا المنهج قد حذرنا الله سبحانه وتعالى منه كما حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأهل السنة والجماعة ينظرون إلى مجموع أقوال السلف ومجموع أعمالهم ؛ لأن الله لم يجعل العصمة لواحد منهم بعينه ، ولا لاثنين ... وإنما جعل العصمة لمجموع الأمة .

فالنبي ﷺ يقول : « خير الناس : قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »^(١)

فجعل الخيرية المطلقة في مجموع الأمة ، لا في أفرادها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد أجاز أمتي من أن تجتمع على ضلالة »^(٢)

فقد يأتي بعض المتعلمين ؛ فيجد قولاً ؛ فيحاول أن يحمل الناس عليه ، ويضل من خالفه ، ولو ضرب به بقية أقوال السلف !

فإن العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم يجعل الله العصمة لأحد بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فكون البعض يذهب إلى تقرير قول واحد أو اثنين ، ويترك بقية أقوال العلماء : فهذا ترك للمحكمات ، واتباع للمتشابهات .

فمن احتج بقول - في العقيدة أو المنهج أو التعامل - مخالف لهدي الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ، وأصدر حكماً على أحد من إخوانه بناءً على هذا القول : فإن قوله مرفوض ومردود ؛ بل إنه من أتباع المتشابه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ u w x y z { | } ~ i ﴾ [آل عمران : ٧]

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٢) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣١)

والآية تنسحبُ على كلِّ مُتشابه من النُّصوص أو من أقوال السَّلف ، وقد صحَّ في الحديث أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إذا رأيْتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تشابه منه : فأولئك الذين سَمَّى اللهُ ؛ فاحذروهم »^(١)

(٢) تتبُّع زَلَّات العلماء بالإفراط أو التَّفريط

الإفراطُ : بالأخذ بتلك الزَّلَّات وتبنيها ، والوقوع في بعض الأقوال ، إمَّا بسبب التَّعصُّب ، أو بسبب قاعدة خالف تُعرف ، أو مِنْ أَجْلِ الشُّهرة .. أو نحو ذلك من الأسباب .

والتَّفريطُ : هو النِّيلُ مِنْ ذلك العالم ، وتَنقِصُه ، والتَّحذير منه بسبب تلك الزَّلَّة . وكلا طَرَفَيِ الأمور دَمِيمٌ .

فالواجبُ على طُلاب العِلْم : أن يسلكوا مسلكَ السَّلف الصَّالح في هذه المسألة (كما في غيرها) بأن يَحترموا العلماء ، ويَجْلُوهم ويُوقِّروهم ، ويَحفظوا كرامتهم ، ويُنزِلُوهم منازلهم ، وإن صدرتْ مِنْهُم بعضُ الزَّلَّات .

وبالمُقابل : يردُّون الخطأ بالدَّليل الشرعي ، دُونَ مُواربة أو مُداهنة ، مع التَّلَطُّف والحكمة والبُعد عن السَّبِّ والشَّتْم الذي دأَّبَ عليه البعض .

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) واللفظ له ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

.

) :

:

:

!

!

.

- -

:

!

() (

—

—

.

.

() ☾

— —

) :

:

.

:

() (! =

):

) :

()

() :

()

()

(-)

(

()

(

()

.

-

:

(/)

(

- -

:) : - -
- : :
-

.

ěì

- -

...

) : :

:

() (

) : :

..

..

() (

) : :

— —

..

() (

()

()

()

()

()

(/) ()

(/) ()

— —

وقال - أيضاً - رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ : (وكتابه في التَّوْحِيدِ مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ ، وقد تَأَوَّلَ في ذلك حَدِيثَ الصُّورَةِ ؛ فَلْيُعْذَرَ مَنْ تَأَوَّلَ بَعْضَ الصِّفَاتِ ، وَأَمَّا السَّلَفُ ؛ فَمَا خَاضُوا فِي التَّأْوِيلِ ؛ بَلْ آمَنُوا وَكَفُّوا ، وَفَوَّضُوا عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ - مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ ، وَتَوْخِيهِ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ - أَهْدَرْنَا وَكَرِهَ دَعْنَاهُ .. لَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْأُثْمَةِ مَعَنَا ، رَحِمَ اللَّهُ ع

والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

وانظر - يا رعاك الله - إلى موقف أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سُئِلَ عن الآبِ في قول الله تعالى : ﴿ وَفِكَهَةً وَأَبًا ﴾ [عبس: ٣١] فقال : (أَيُّ سَاءٍ تُظَلِّنِي ، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ)^(١) حَتَّى عَرَفُوا تَفْسِيرَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ لُغَةِ الْعَرَبِ . وكذا موقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَوْرِيثِ الْجِدَّةِ السُّدُسِ^(٢) ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْوَرَعِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ... وَمِثْلُهُ سَائِرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّعَالُمِ : حُبُّ الظُّهُورِ ، وَالرِّيَاءِ ، وَالْجَهْلُ بِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ ، وَوُجُودُ مُنَدَسِّينَ يَدَّعُونَ السَّلَفِيَّةَ بَيْنَ صَفُوفِ السَّلَفِيِّينَ ، وَقَدْ يَثْقُ الْبَعْضُ بِهِؤُلَاءِ الْمُنَدَسِّينَ مَعَ جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ بُضَاعَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِينَ ... حَتَّى لَقَدْ قِيلَ عَنْ أَحَدِ الْمُتَعَالِمِينَ : إِنَّ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ مِائَةِ رَجُلٍ !

فَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ . قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ : (فَكَمْ رَأَيْنَا نِزَالَاً فِي حَلَائِبِ الْعِلْمِ ، مِنْ رَائِمٍ لِلْبُرُوزِ قَبْلَ أَنْ يَنْضِجَ ، فَرَّاشٌ قَبْلَ أَنْ يَبْرِيَ ، وَتَرْبَّبَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّرَ ..

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٣٠١٠٧) والبخاري في شرح السنة (٢٦٤/١)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢١٠٠) وابن حبان في صحيحه (٦٠٣١) والحاكم في مستدركه (٧٩٧٨) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّلْخِيسِ الْخَبِيرِ (١٧٩/٣-١٨٠) : (وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ لثِقَةِ رَجَالِهِ ، إِلَّا أَنْ صَوَّرْتَهُ مَرْسَلًا)

وقد قيل : البدايةُ مَزَلَةٌ ! وقيل : مِنَ الْبَلِيَّةِ تَشِيخُ الصَّحْفَةِ ! ويؤثر عن الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله : (الْعِلْمُ نُقْطَةٌ ، كَثَرَهَا الْجَاهِلُونَ !)^(١)

ونقل الشيخ بكر رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالاً نفيسةً لبعض العلماء في هذا الباب ، نختارُ منها :

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ : (لو سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الاختلاف)^(٢)

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالواجبُ على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم في العلم مَنْ لو أمسَكَ عن بعض ما تكلم فيه منه ؛ لكان الإمساكُ أولى به ، وأقرب من السَّلامة له إن شاء الله)^(٣)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته :

هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَحَنِّبٌ بَارٍ	بَعْدَ وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْعَانِ
فَطُ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ	ضَخَمَ الْعِمَامَةُ وَاسِعَ الْأُرْدَانِ
مُتَفِيهَقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو	صَلَعَ وَذُو جَلَحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ
مُزَجِّجِي الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ	زَاجٌ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَذْيَانِ
يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحَقُوقَ تَظْلُمًا	مِنْ جَهْلِهِ كَشَايَةِ الْأَبْدَانِ
مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى	وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَانِ

(١) التعالم (٧) وأثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكره مرتضى الزبيدي في تاج العروس (١٥٣/٢٠) والأمير الصنعاني في سبل السلام (٦٥١/٢) وفي

إرشاد النقاد (١٣٢)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٩٩)

(٣) الرسالة (٣٤)

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : (إذا تكلَّم المرءُ في غير فنِّه أتى بهذه العجائب)^(١)
وذكرَ لسفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ كثرة المحدثين فقال : (أوليس قد يُضرب مثلٌ : إذا كثر
الملاحون غرقت السفينة ؟)^(٢)

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ : (لا آفة على العلوم وأهلها أضرَّ من الدُّخلاء فيها وهم من غير
أهلها ؛ فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ، ويُفسدون ويُقدِّرون أنهم يُصلِحون)^(٣)

وتأمَّل - بارك الله فيك - حديث المتشعِّع بما لم يُعطَ ، وما جاء فيه من وعيد :
فعن أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إن لي ضرَّةً ، فهل عليَّ جناحٌ إن
تشبَّعتُ من زوجي غير الذي يُعطيني ؟
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « المتشعِّع بما لم يُعطَ كالابس ثوبي زور »^(٤)

كما أن هناك أسباباً أخرى غير ما ذكرَ ، من أعظمها : الوقوع في المعاصي والذنوب ،
واتباع الهوى ، ومخالفة النصوص الآمرة بالنصيحة لكلِّ مُسلم .

(١) فتح الباري (٣/٥٨٤)

(٢) المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للراهمزمي (١/٥٦٠)

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (٢٣)

(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠) .

قال ابن منظور في لسان العرب (١/٢٤٧) : (إن المتشعِّع بما لم يُعطَ : هو الذي يقول أعطيت كذا لشيء لم يُعطَ ؛ فأما أنه يتصف بصفات
ليست فيه ، يُريد أن الله تعالى منحه إياها ، أو يُريد أن بعض الناس وصله بشيء خصَّ به ؛ فيكون بهذا القول قد جمع بين كذابين : أحدهما
اتصافه بما ليس فيه ، أو أخذه ما لم يأخذه ، والآخر الكذب على المُعطي ، وهو الله ، أو الناس)

ثانيًا : كيف نُعالج هذه الظَّاهرة :

إنَّ علاجَ مُشكلة التَّقاطع والتَّدابر والتَّنَاحر والهجر ... والطَّرِيق إلى رَأب الصَّدع بين أصحاب المنهج الواحد ميسورٌ بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متى تَجَرَّدنا للحقِّ ، وتخلَّصنا من هوى النَّفس ، وخُلِّصَتْ نِيَّاتُنَا لله تبارك وتعالى ، ويُمكنُ أن نذكر بعض وسائل العلاج على سبيل المثال لا الحصر على النحو الآتي :

أولاً : التَّواصلُ بين المؤمنين عامَّة وطلبة العِلْم خاصَّة ؛ فإنَّ مِنْ أعظم الأمور التي تُعالجُ بها هذه الظَّاهرة : هو التَّواصل والتَّراحم والتَّعاون بين أهل السُّنة السَّلفين أصحاب المنهج الواحد ، وقد ألَّف شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله رسالة بعنوان : (رِفْقًا أَهْلَ السُّنة بأهل السُّنة) وبعد فترة كتب رسالة أخرى : (ومرة أخرى رِفْقًا أَهْلَ السُّنة بأهل السُّنة) وكان شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ قد كتب رسالة جميلة لتوجيه الدُّعاة السَّلفين أصحاب العقيدة الصَّحيحة السَّائرين على منهج السَّلف الصَّالح .

وانطلاقًا من هُدي الكتاب والسُّنة ، وما استفدُتُه من هذه التَّوجيهات لمشايخنا الأفاضل ونصيحةً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتِهِمْ ، وإشفاقًا على طُلاب العِلْم والدُّعاة مِنْ هذا التَّشرُّد والتَّفرُّق ، ورأبًا للصَّدع ، ونفويًا للفرصة على من يصطادُ في الماء العِكر ... فَإِنِّي أَقترحُ أن يُعيدَ بعض المشايخ وطُلاب العِلْم النَّظَرَ في طريقة المُعالجة لما يحصل مِنْ أخطاء من بعضهم ، وذلك بأن يتواصلوا ويسلكوا مسلكَ علماؤنا ومشايخنا - المُتقدمين والمُتأخرين - والاجتهاد في ذلك ، والبدء بالنَّصيحة قبل

() :

.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْلَهُمْ أَقْتَدِهٖ﴾ [:]

.

...

.

:

:

.

- -

:

.

:

: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى

أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [:]

: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [:]

... () « : » :

:

...

: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [:]

﴿ ()

: ﴿ أُولَئِكَ بَعْضٌ ﴾ [:]

: ﴾

: ﴾

﴿ ()

:

:

—

) :

:

:

—

:

:

:

.

.

() (

()

(

()

()

()

(

()

.

: (/)

(

— —

» :

()«

()«

» :

) :

﴿ :وَأَعْتَصِمُوا

يُحِبُّ اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [:] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ [:]

()■

:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

()

(

()

()

:

(

: (- /)

(

—

.

—

.

—

:

.

:

—

):

()

(

()₁

() : () ()

() : (/) () : ()

() : ()

() () ()

: () [(/)

(

() : ()

(/)

:

— —

٥- وإذا اشتبه على الإنسان أمرٌ : فليدعُ بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلى الصلاة يقول : « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (١) .

وَالنَّظَرُ فِي مَقَاصِدِ الشَّرْعِ : يُدْرِكُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ تُشْعِرُ الْمُؤْمِنَ بِأَهْمِيَةِ الْاجْتِمَاعِ وَالْإِتِّلَافِ ، وَالبُعْدُ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا كَمْ مَنَعَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْ عُقُودٍ وَمُعَامَلَاتٍ .. خَشْيَةُ وَقُوعِ النِّزَاعِ ؟

وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَأَدَاؤُهَا فِي جَمَاعَةٍ ، وَتَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ ، وَالصُّومُ ، وَالْحَجُّ ، وَكَوْنُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ... يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ (الْفَطْنِ الْمُتَجَرِّدِ) يَحْرِصُ عَلَى تَنْمِيَةِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَالْأَخَوَّةِ وَ يَحْرِصُ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ ، وَتَقْوِيَةِ الْفُرْصَةِ عَلَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى لَا يَصْطَادُوا فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ (٢) .

سَابِعًا : وَجُوبُ التَّعَاوُنِ عَلَى نَشْرِ الْخَيْرِ ، وَإِنْ وُجِدَ إِخْتِلَافٌ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ ؛ فَالْمَذْمُومُ هُوَ التَّفَرُّقُ وَالْخِلَافُ الْحَزْبِيُّ الْبَدْعِيُّ ؛ الَّذِي يَصُلُّ بِأَصْحَابِهِ إِلَى مُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ وَمُؤَالَاةِ أَهْلِ الْبَدْعِ .

(١) مجموع الفتاوى (٥٠٣/٦-٥٠٦) باختصار .

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧٠) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

(٢) راجع في هذا المعنى محاضرة لشيخنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بعنوان : (الحث على المودة والائتلاف والتحذير من الفرقة والاختلاف) وهي مفرغة ومطبوعة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران ١٠٥]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ الأنعام : ١٥٩ ﴾

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وهي : الجماعة »^(١)

وفي الرواية الأخرى : قلنا من هي يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي »^(٢)
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذا التَّفَرُّقُ الذي حصلَ من الأُمَّة (علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها) هو الذي أوجبَ تَسَلُّطَ الأعداء عليها ، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا

مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة : ١٤]
فمتى تركَ النَّاسُ بعضَ ما أمرهم الله به وقعتَ بَيْنَهُمُ العداوةُ والبغضاءُ ، وإذا تَفَرَّقَ القومُ : فَسَدُوا وَهَلَكُوا ، وإذا اجتمعوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا ؛ فَإِنَّ الجماعةَ رَحْمَةٌ والفرقة عذابٌ^(٣)
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ووقوعُ الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروريٌّ لا بدَّ منه ؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ، ولكنَّ المذمومَ : بغْيُ بعضهم على بعض وعدوانه ؛ وإلَّا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التَّبَايُن والتَّحَرُّب ، وكلٌّ مِنْ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٧٣) عن معاوية بن أبي سفيان رَحِمَهُمَا اللَّهُ عَنْهُ وابن ماجه في سننه (٣٩٩٣) وابن أبي عاصم في السنة (٦٤)

وغيرهم عن أنس بن مالك رَحِمَهُمَا اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٢)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط والصغير (٤٨٨٦) (٧٢٤) والآجري في الشريعة (١١١) وغيرهم عن أنس بن مالك رَحِمَهُمَا اللَّهُ عَنْهُ ،

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٤١)

(٣) مجموع الفتاوى (٤٢١/٣)

المُختلفين قَصْدُهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : لَمْ يَضُرَّ ذَلِكَ الاختلاف ؛ فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي
النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا ، وَالْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ وَاحِدَةً ،
وَالطَّرِيقُ الْمَسْلُوكَةُ وَاحِدَةً : لَمْ يَكُنْ يَقَعُ اختلافٌ ، وَإِنْ وَقَعَ : كَانَ اختلافًا لَا يَضُرُّ ، كَمَا
تَقْدُمُ مِنْ اختلافِ الصَّحَابَةِ ؛ فَإِنَّ الْأَطْلَقَ الَّذِي بَنَوْا عَلَيْهِ

وكذلك الاختلاف في المسائل الفقهيّة التي قال فيها كلُّ واحدٍ بحسب ما ظهر له من الدليل المُحتَمِل .

أمّا اختلاف التّضاد : فإنّه يكون في المسائل التي وردت فيها نصوص ظاهرها التّعارض ؛ فيُرجع فيها إلى طرق الجمع والتّرجيح المعروفة عند السّلف ، وما جاء فيها من نصٍّ جليٍّ واضحٍ مُحكَم : فإنّ الواجب هو الأخذ به ، وترك ما يُخالِفُه من أقوال .

وليس كلُّ خلافٍ جاء مُعتَبَرًا إِلَّا خِلافٌ لَهُ حُظٌّ مِنَ النَّظَرِ

(٤) أنّه لا يجوزُ دَمٌّ مَنْ أخطأ في المسائل الاجتهادية ، أو مَنْ كَانَ له تَأْوِيلٌ سائِغٌ ؛ بل هو مأجورٌ على اجتهاده وإن أخطأ .

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتِهَدْ ، ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتِهَدْ ، ثُمَّ أخطأ : فَلَهُ أَجْرٌ »^(١)

وإِنِّي أَهْيَبُ بِإِخْوَانِي السَّلَفِينَ خَاصَّةً : أَنْ تَتَّسَعِ صُدُورُهُمْ إِنْ خَالَفَ أَحَدٌ لَهُمْ فِي مَسْأَلَةٍ اجتهادية لِحُجَّةٍ لَاحِتٍ لَهُ ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمَعَ الْكُلُّ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ الْمَسَائِلِ وَالْوَقَائِعِ الاجتهادية التي فيها احتمال ، وَلِلنَّظَرِ فِيهَا مَجَالٌ ؛ فَعَلَيْهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي تَضْيِيقِ هَوَاةِ الْخِلَافِ مَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، لِأَسِيَا أَنْ بَعْضُ الْاِخْتِلَافَاتِ مَرَدُّهَا إِلَى التَّهْوِيلِ وَالتَّضَخِيمِ وَالْمُبَالَغَةِ ...

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ثامناً : الرِّفْقُ

إِنَّ الرِّفْقَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْمَسَائِلِ : خُلُقٌ عَظِيمٌ .
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ »^(١) و « إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ »^(٢) وَإِنَّ اللَّهَ : « يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ »^(٣)

وَالرِّفْقُ : خُلُقٌ عَظِيمٌ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ ، حَتَّى مَعَ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ
فَقَدْ قَالَتِ الْيَهُودُ يَوْمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّأَمُ عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
« وَعَلَيْكُمْ » فَقَالَتِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَعَلَيْكُمْ السَّأَمُ وَاللَّعْنَةُ وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !
أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ فَقَالَ : « قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ »^(٤)

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَثَّ عَلَى الرِّفْقِ حَتَّى مَعَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ إِخْوَانِ الْقُرْدَةِ
وَالْخَنَازِيرِ ، أَفَلَا يَجْدُرُ بِنَا نَحْنُ أَصْحَابِ الْمَنْهَجِ الْوَاحِدِ أَنْ نَسِيرَ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ ، وَأَنْ
يَرْفُقَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، وَأَنْ يَرْحَمَ بَعْضُنَا بَعْضًا ؟!

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٩٢٧) واللفظ له ، ومسلم (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

تاسعاً: البعد عن البغي والهوى ، والتزام الإنصاف مع المخالف

إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ الْمُنْصِفِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَعَ إِخْوَانِهِ : هو الذي يتعدى عن حُطُوظِ النَّفْسِ والهوى والأنانية وحبِّ الذات ؛ فلا يبغي على إخوانه ، ولا يظلمهم لا بقول ، ولا بفعل ، ولا بتحميل كلامهم ما لا يحتمل ؛ فالاختلاف في الرَّأي لا يجوزُ له أَنْ يُفسدَ للودِّ قضية ؛ إِنَّمَا يَحْصُلُ الفسادُ مِنَ الاختلاف إِذَا صاحبه ظُلْمٌ وَبَغْيٌ .

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ X W W T S R Q P O N ﴾

﴿ Y ﴾ [آل عمران : ١٩]

وقد أمر الله عز وجل بالإنصاف والعدل حتَّى مع الكُفَّار

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (وهذه الآية نزلت بسبب بُغضهم للكُفَّار ، وهو بغضٌ مأمورٌ به ؛ فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أَنْ يظلم مَنْ أبغضه ، فكيفَ في بُغضِ مُسلمٍ يتأويل وشبهة ، أو بهوى نفس ؟! فهو ظ

فطالبُ العِلْمِ المُنْصَف : يقدِّرُ الأمورَ قَدْرَها ؛ فلا يُعْطِيها أكبرَ مِنْ حِجْمِها ، ولا يُضَحِّمُ الأخطاءَ ؛ فيذكرُ الخطأَ كما هو إن دَعَتِ الحاجةُ إلى ذِكْرِهِ معَ احترامِ أخيه المُخطئِ ، وعدمِ تَجْرِيحِهِ بلا سببٍ وجيه ، معَ الأخذِ في الاعتبارِ مُراعاةَ الظُّروفِ التي حملتْهُ على هذا الخطأ .

وانظر - يا رعاك الله - إلى قِصَّةِ الصَّحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كيف قَبِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُدْرَهُ ووصَفَهُ بالصِّدْقِ ، وغفرَ اللهُ له هذا الخطأَ لِصِدْقِهِ وكونه من أهل بدر ؛ لكنه كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متأولاً لفعله ، ولم يقصد موالاته الكفار أبداً ، وقد ناداه الله باسم الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة ١] معَ أنَّ الأمرَ الذي أخطأَ فيه خطيرٌ في الحقيقة^(١) . وعلى مثل هذا قَسِسُ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَالْحِكْمَةِ - أَيضاً - أَنَّ مَنْ كَثُرَتْ حَسَنَاتُهُ وَعَظُمَتْ ، وَكَانَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ تَأْثِيرٌ ظَاهِرٌ ؛ فَإِنَّهُ يُحْتَمَلُ لَهُ مَا لَا يُحْتَمَلُ لِغَيْرِهِ ، وَيُعْفَى عَنْهُ مَا لَا يُعْفَى عَنْ غَيْرِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ خَبْثٌ ، وَالْمَاءَ إِذَا بَلَغَ الْقُلَّتَيْنِ : لَمْ يَحْمَلِ الْخَبْثُ)^(٢) وهذا أمرٌ معلومٌ عند النَّاسِ ، مُسْتَقَرٌّ فِي فِطْرِهِمْ : أَنَّ مَنْ لَهُ أَلُوفُ الْحَسَنَاتِ ؛ فَإِنَّهُ يُسَامَحُ بِالسَّيِّئَةِ وَالسَّيِّئَتَيْنِ كَمَا قِيلَ :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

(١) قصة حاطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٨٣) (٦٢٥٩) (٦٩٣٩) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) مفتاح دار السعادة (١٧٦/١) طبعة : دار الكتب العلمية .

عاشراً : دراسة كُتِبَ الرَّقَائِقُ التي تُعالجُ أمراضَ القلوب

إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ تَمْرُضُ كَمَا تَمْرُضُ الْأَجْسَادُ ، وَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ

كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »^(١)

فإذا أردنا تحصينَ القلوبِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ وَالْهَوَى ، وإذا أردنا كبحَ

جَاحِ النُّفُوسِ مِنَ الانْحِرَافِ : فعلينا أَنْ نَبْذُلَ قُصَارَى جَهْدِنَا فِي إِيجَادِ الْأَسْبَابِ الَّتِي

تُصْلِحُ تِلْكَ الْقُلُوبَ ، وَتُبْعِدَهَا عَنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ ، وَتَحْمِلَ أَصْحَابَهَا عَلَى خَشْيَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ،

وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ ، وَالبُعْدِ عَنْ مَسَاخِطِهِ ، وَذلك بتلاوة القرآن وتدبره وتأمله ، قال ابن

عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَوَاطِبْ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُكَلِّفُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلَمِدٍ^(٢)

وكذلك العنايةُ بالسُّنَّةِ ، وتدبرُها وتأملُها ، وقراءة كُتُبِ الرَّقَائِقِ ، مثلَ كتبِ ابنِ القيم

كالفوائد ، وَعِدَّةِ الصَّابِرِينَ ، ومفتاح دار السَّعادة وطريق المهجرتين والجواب الكافي ،

وكتب الشيخ السَّعْدِيِّ ، مثلَ كتابِ شجرة الإيمان ، ونحو ذلك من كتبِ الرَّقَائِقِ

الحالية مِنَ الْبَدْعِ وَالتَّصَوُّفِ ، والمنسجمة مع منهج السَّلفِ الصَّالِحِ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿

﴿ [النازعات : ٣٧ - ٤١]

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) نقله ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ (٥٨٩/٣)

الحادي عشر : مُراعاة المصالح والمفاسد

إِنَّ النَّازِلَ فِي قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَمَقَاصِدِهِ : يَلْحَظُ أَنَّ ثَمَّةَ قَوَاعِدٍ يَجِبُ مُرَاعَاتُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا حِفَاضًا عَلَى الْمَصَالِحِ وَدَرَاءً لِّلْمَفَاسِدِ ، مِنْهَا : إِنْ دَرَأَ الْمَفَاسِدَ : مُقَدِّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ ، وَمِنْهَا : ارْتِكَابُ أَخْفَى الضَّرَرَيْنِ فِي سَبِيلِ دَفْعِ أَعْلَاهُمَا ، وَبِعِبَارَةٍ أَوْضَحَ : تُحْتَمَلُ الْمَفْسَدَةُ الدُّنْيَا لِتَفَادِيَ الْوُقُوعَ فِي الْمَفْسَدَةِ الْكُبْرَى .

وانظر - يا رعاك الله - إلى قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سأَلَتْهُ عَنْ إِعَادَةِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ : « لَوْ لَا حِذْثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ »^(١) ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَدَمَ الْكَعْبَةَ ، وَأَعَادَهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَهَدَمَهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَخْرَجَ الْحِجْرَ ، وَأَعَادَهَا كَمَا كَانَتْ ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ ، أَرَادَ أَنْ يَهْدِمَهَا وَاسْتَشَارَ الْإِمَامَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمْ يُوَافِقْهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ : (إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ مَلْعَبَةً ؛ فَتَرْكُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ فَهِيَ إِلَى الْآنَ كَذَلِكَ)^(٢) .

وهذا رسولُ الله ﷺ قد تركَ المُنافقين ؛ فلم يُعَاقِبْهُمْ مَعَ فَضَحِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَمَعْرِفَةِ النَّبِيِّ لِأَسْمَاءِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ؛ لَكِي « لَا يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ »^(٣) وَكَانَ يَرَى الْأَصْنَامَ الْمُحِيطَةَ بِالْكَعْبَةِ فَلَمْ يُزِلْهَا ، حَتَّى قَوِيَتْ شُوكَةُ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ مَكَّةَ ؛ فَكَسَرَهَا وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٤)

[الإسراء : ٨١]

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (١٥٨٣) ومسلم (١٣٣٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٤٩٠/٣) طبعة : دار هجر

(٣) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أخرج ذلك البخاري (٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وأمثال ذلك كثيرٌ من تطبيق هذه القاعدة (ارتكاب أخفُّ الضررين ، أو درء المفسد مُقدِّم على جلب المصالح) فالعمل بهذه القاعدة يجب أن ينسحب على كلِّ مُخالف .

فإذا كانت الرُّدود بين طلبة العِلْم تُؤدي إلى مَفسدة كُبرى يَسْتَغْلِها أعداءُ السُّنة ؛ فإنَّ الواجبَ هو التَّنَاصُحُ وبيانُ الحقِّ بدليله ، ومعالجةُ كلِّ قضيَّةٍ بما يقتضيه الحال . مع الأخذ في الاعتبار : المحافظة على مكانة المردود عليه ، وحفظ منزلته .

وتأملوا - يا رعاكم الله - في تعامل علماء السُّنة مع كتب ابن حجر والنووي رَحِمَهُمَا اللهُ وغيرهما من كتب العِلْم (التي وقع أصحابها في كثير من الهنات والأخطاء ؛ بل والتأويلات) فيردُّون الخطأ ، مع حِفْظ مكانة هؤلاء العلماء ، وقرأوا تعليقات شيخنا الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ على فتح الباري ؛ المشتملة على بيان أخطاء الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ العقدي ، مع حفظ قدره ومكانته .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (النَّبِيُّ ﷺ شَرَعَ لَأُمَّتِهِ إِجَابَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ ؛ لِيَحْصَلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ : فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ ، وَإِنْ كَانَ اللهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ) (١)

فإذا أدَّى الإنكارُ إلى مفسدة أكبر وجب التَّوقُّفُ والانتظار بل وجب توقُّفُ الإنكار .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨]

(١) إعلام الموقعين (١٢/٣) طبعة : دار الكتب العلمية .

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (فإذا لم يحصل النُّور الصَّافي ؛ بأن لم يُوجد إلَّا النُّور الذي ليس بصافٍ ؛ وإلَّا بقيَ الإنسانُ في الظُّلْمَةِ ؛ فلا ينبغي أن يعيبَ الرَّجُلُ ويُنهى عن نور فيه ظُلْمَةٌ ؛ إلَّا إذا حصلَ نورٌ لا ظُلْمَةٌ فيه)^(١)

فكم مِنْ نُورٍ للدَّعوة أُطفئَ ، وكم مِنْ مَصْلَحةٍ دَعَوِيَّةٍ أُجهضت بسبب العَجَلَةِ والتَّحذير من الدُّعاة المُخلصين ، وطُلاب العِلْمِ السَّلفيين ؛ الَّذِينَ يُمكن أن ينفَعَ اللهُ بعِلْمِهِمْ ، ويُثيروا للمجتمع الطَّرِيقَ ، لو لم يُطفأ هذا النُّور ، وتُوجد تلك العقبات من طُلاب عِلْمٍ صِغار ، وجُهاًلٍ أغرار ، سَلَكَوا هذا المسلك المشين ؛ فأفسدوا مِنْ حيثُ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُصلِحون !

وأذكرُ عبارةً لشيخنا الشيخ علي بن مُحَمَّد بن ناصر فقيهي وهو يُناقش بعضُ زُعماء الإخوان المُسلمين ، الذين التقينا بهم سَنَةً اثْنين وأربع مائة وألف للهجرة النبوية ونحنُ في كانو بنيجيريا ، حيثُ قال ما خُلاصته : إذا كان عندنا بناء ، وفيه نقصٌ ، هل نُزيله لنقيمَ صَرَحًا على أنقاضه ، أم نجتهدُ في إكمال النقص ؟! ثم قال لهم : إنَّ دَعوتكم هذه : كالَّذي يَبني في الهواء من غير تأسيس

﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئِكَنتُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْكَ اللهُ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئِكَنتُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَكَارٍ فَأَتَهَارَبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩]

فتأملوا يا دُعاة الإسلام والسُّنة هذا المعنى وطَبِّقوه ، ولا تَهْدِمُوا بِنَاءً قائمًا مِنْ أَجل منهج تَبْنِيَتُمُوهُ ؛ بل أسهموا مع إخوانكم في بناء هذا الصَّرح على البرِّ والتَّقوى ، واتَّقوا الله .

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٤)

الثاني عشر: فهم الكلام المنقول كما أراد قائله، والتثبت من صدق الناقل

إنَّ بعض ما يقع في السَّاحة الدَّعوية من المَهاترات والرَّدود والإلزامات والنَّقد: يَرِجُ إلى أنَّ البعض لم يفهم الكلام المنقول على الوجه الَّذي يُريده قائله؛ إمَّا لعدَم فهم المُخاطَب، وإمَّا نتيجةً للثَّقة المفرطة في بعض النِّقَلة.

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السَّقيم

فطالبُ العِلْم المتجرّد للحقِّ: لا يتسرَّع في قبول الأخبار على عواهنها حتَّى يتأكَّد من قصد القائل، وصحَّة النِّقل، وفهم لُغته ومراده، حتَّى يُحيطَ بجميع جوانبه؛ فإذا رَدَّ يكون رَدُّه حينئذٍ رَدًّا صحيحاً مُدعماً بالدَّلِيل، مع مُراعاة المصلحة والمفسدة المترتبة على هذا النِّقل (كما تقدَّم).

هُم نَسَبُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفُهْ بِهِ وَمَا أَفُهْ الْأَخْبَارُ إِلَّا رُوتَهَا

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وكثير من النَّاقِلين ليس قصدهُ الكذب، لكنَّ المعرفةَ بحقيقة أقوال النَّاس من غير نقل ألفاظهم، وسائر ما به يُعرَف مُرادهم: قد يتعسَّر على بعض النَّاس، ويتعذَّر على بعضهم)^(١)

فالواجبُ على طُلاب العِلْم إذا جاءهم خبرٌ: أن يثبَّتوا؛ فلا يروُون كلَّ ما يُنقل، ولا يروُون عن كلِّ ناقل.

قال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللهُ: (إذا كتبتَ فقمَّشْ، وإذا حدَّثتَ ففتَّشْ)^(٢)

(١) منهاج السنة النبوية (٣٠٣/٦)

(٢) سير أعلام النبلاء (٨٥/١١) طبعة: مؤسسة الرسالة.

وقبل هذا وذاك قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا

أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات : ٦]

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن

أَلْفَيْ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسَتْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء : ٩٤]

والمراد بالتبين : التعرف والتبصر والأناة وعدم العجلة ، حتى يتضح الأمر ويظهر ، وهذا يحصل في النقل والمنقول ؛ فأما النقل : فبالتحقق من صدق الناقل وسلامته .

ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بئس مطية الرجل : زعموا »^(١)

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وإنما يقال (زعموا) : في حديث لا سند له ، ولا ثبت فيه ، وإنما هو شيء يحكى على الألسن على سبيل البلاغ ؛ فذمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديث ما كان هذا سبيله ، وأمر بالثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك ؛ فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ، ومروياً عن ثقة)^(٢)

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن أراد أن ينقل مقالة عن طائفة : فليُسمِّ القائل والناقل ، وإلا فكلُّ أحدٍ يقدرُ على الكذب)^(٣)

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٠٧٥) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٣) وأبو داود في سننه (٤٩٧٢) وغيرهم عن عقبة بن عمرو البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٦)

(٢) معالم السنن (١٣٠/٤) طبعة : المطبعة العلمية .

(٣) منهاج السنة النبوية (٥١٨/٢)

الثالث عشر : عدم الاغترار بكثرة الأتباع

قال الله تعالى : ﴿وَلَنْ تَقْطَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام : ١١٦]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف : ١٠٣]

قد يَغْتَرُّ البعض بكثرة أتباعه ومُرِيدِهِ ؛ فيظُنُّ أَنَّهُ قد أصبحَ عالِماً نَحْرِيّاً وبطلاً شَهِيراً ،
وَمِنْ جانِبٍ آخَرَ قد يُرْهِبُهُ هَؤُلاءِ الأتباع ويخافهم عندما يخشى أن يتحوَّلوا إلى غيرِه إذا
لم يخضع لرغباتهم ، ولم يَرُكِّن لآرائهم .

وبالمُقابل فإنَّ الأتباعَ قد يَغْتَرُونَ به ، ويُفَتِنُون به ؛ فلا يَتَّبِعُونَ الحق الذي مع غيرِه ،
ولو كان هذا المتبوع على باطل .

وهذا أمرٌ خطيرٌ قد يقع فيه كثيرٌ مِنَ المتعلِّمين مع أتباعهم الذين لا يُهْمُّهم إِلَّا كَثْرَةُ
تجميع النَّاسِ حولهم ، على قاعدة الاغترار بالسَّواد الأعظم !

وهذا مُخالفٌ لهدي الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأُمة من أن الكثرة والقِلَّة ليستا
علامةً على الحقِّ ؛ فإنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدَّد ، والحقُّ أحقُّ بالاتباع ولو خالفه النَّاسُ .

فاحذروا أحبابي طُلاب العِلْم من الاغترار بكثرة الأتباع ؛ فإنَّه قد لا يَعِدُو أن يكونَ :

﴿كَرَّابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْءَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور : ٣٩]

الرَّابِعَ عَشَرَ : وجوبُ حُسْنِ الظَّنِّ بِأَخِيكَ الْمُسْلِمَ

فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِ السَّلَامَةُ مِنَ الْقَادِحِ ، مَا لَمْ يَظْهَرِ خِلَافُ ذَلِكَ مُدْعَمًا بِالذَّلِيلِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات : ١٢]

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [النجم : ٢٣]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » (١)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا : أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (٢)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ مُسْلِمٍ شَرًّا ، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا) (٣)

فاجتنبوا الظنَّ أحبابي طُلابِ الْعِلْمِ ، واحملوا مقالات إخوانكم على المحمل الحسن ، وإياكم وبتَرَ الكلام ، وتقويل إخوانكم ما لم يقولوا ، وإلزامهم ما لا يلزمهم . وطبّقوا أثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمِ ، وظنُّوا بإخوانكم خيرًا ، وإن صدرت منهم بعض الزَّلَّاتِ (كما تقدّم)

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) روضة العقلاء (٩٠) طبعة : دار الكتب العلمية .

الخامس عشر: قَبُولُ الْحَقِّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ

على طالب العلم أن يتجرّد للحقّ ، وينخضع له ، حتّى وإن نطق به الخصم ؛ فهذا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقرُّ قول الحقّ الذي نطق به الشيطان عندما قال له : (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي) بل قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَكَ وهو كَذُوب »^(١)

وتوضيح ذلك أن يُقال : إن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقبل الحقّ من الشيطان ؛ إنما قَبِلَ بِهِ بعدما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال له فصدقه النبي ﷺ

وفي قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صدَقَكَ وهو كَذُوب » ردُّ على من يقول : نحن نأخذ العلم من أي أحد دون قيد أو شرط ؛ فنقبل الحقّ ونردُّ الباطل !
فأبو هريرة ما طلب علماً من الشيطان ؛ إنّما صدّقه بتصديق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله ؛ وإلّا فهو كذوب غير مأمون ، كما هو حال أهل الأهواء ؛ فلا يؤخذ العلم عنهم ابتداءً ، وإذا خرجت منهم عبارة تُوافق الحقّ نقبلها تعظيماً للحقّ لا لهم .
وقد جاء خبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا مُحَمَّد ! إنا نجد أنّ الله يجعلُ السّموات على إصبعٍ والأرضين على إصبعٍ ، والشّجر على إصبعٍ ، والماء والثّرى على إصبعٍ ، وسائرُ الخلائق على إصبعٍ ، فيقولُ : أنا الملك .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَنَهُ ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] (١)

وجاء خبرُ إلى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ! تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : ما شاء الله ثم شئت ، وقولوا : وربُّ الكعبة » (٢)

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من جاءك بالحقِّ فاقبل منه ، وإن كان بعيداً بغيضاً ، ومن جاءك بالباطل ؛ فاردده عليه ، وإن كان قريباً حبيباً) (٣)

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٩٣) والنسائي في سننه (٣٧٧٣) والحاكم في المستدرک (٧٨١٥) وغيرهم عن قُتَيْبَةَ بنتِ صَيْفِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦)

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (٢٣٤/١) وأبو نعيم في الحلية (١٣٤/١) وبنحوه عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، انظر الحلية (١٢١/٩)

السادس عشر : استعمال المعارض والإشارات والتلويح والتلميح بدلا من الفصائح والتجريح والتصریح إذا كان ذلك يكفي لتصحيح الخطأ ، وإزالة المنكر

وتأمل معي - يا رعاك الله - هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تنبيه الشباب الذين أرادوا أن يفعلوا أمورا مخالفة للسنة اجتهادا منهم ، ومعلوم أنهم لو فعلوها لوقعوا في البدعة . وذلك بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سُنتي فليس مِنِّي »^(١) قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واصفة هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كان إذا بلغه عن الرجل شيء : لم يقل : (ما بال فلان يقول) ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا »^(٢) يؤيد ذلك : وجوب الستر على المخطئ في الأمور التي ليس فيها خطر على العامة يستوجب التحذير منه .

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ستر مسلما : ستره الله يوم القيامة »^(٣) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم »^(٤) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أقال مسلما : أقال الله عثرته يوم القيامة »^(٥)

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) واللفظ له ، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٨٨) والبيهقي في الشعب (٧٧٤٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٥٨٨١) وغيرهم عن مسروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٦٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٤٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ومسلم (٢٥٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٥) وأبو داود في سننه (٤٣٧٥) والنسائي في السنن الكبرى (٧٢٥٣) وغيرهم عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٣)

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٩٩) وأبو داود في سننه (٣٤٦٠) والحاكم في المستدرک (٢٢٩١) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في إرواء الغلیل (١٣٣٤)

وَمَّا يَجْدُرُ التَّنْبِيهِ إِلَيْهِ هُنَا : التَّأَكُّدُ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْمُخْطِئِ بِاسْمِهِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ شَرْعًا إِنْ كَانَ مِمَّنْ اِشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ دَاعِيًا إِلَى خَطئِهِ وَبَدَعْتِهِ ، وَاقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ الشَّهِيرَ بِهِ .

وَمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا قَالَتْ لَهُ تَسْتَنْصِحُهُ : إِنْ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَأَبَا جَهْمٍ خُطْبَانِي ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا أَبُو جَهْمٍ ؛ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ ؛ فَصَلُّوكُمْ لَا مَالَ لَهُ » (١)

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ عَلِمَ حَالَهُ : « ائْذِنُوا لَهُ ، بَشَى أَخُو الْعَشِيرَةِ ، أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ » (٢)

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : مُدَارَاةٌ مِنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ ، وَجَوَازُ غِيْبَةِ الْفَاسِقِ الْمُعْلَنِ فَسَقِهِ ، وَمَنْ يَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْهُ) (٣)

مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْبَدْعِ حَقُّهُمْ أَنْ لَا يُذَكَّرُوا بِأَسْمَائِهِمْ ؛ لِئَلَّا يُشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، كَوْنِهِمْ مَغْمُورِينَ غَيْرَ مَعْرُوفِينَ ، وَذَكَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَدْ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِهِمْ .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٦٠٥٤) ومسلم (٧٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) شرح مسلم (١٤٤/١٦)

السابع عشر : وجوبُ توجيه طلاب العِلْم إلى الاشتغال بالعلم والتَّعلُّم ، والتَّفقه في دين الله تعالى ، والاجتهاد في فهم الكتاب والسُّنة وفق منهج السَّلَف الصَّالح ، بعيداً عن الإفراط والتَّفريط ، حتَّى يَسَلَمُوا من هذا التَّخَبُّط والتَّقاطع والتَّباغض والتَّدابر والتَّهاجر ... بسبب اشتغالهم في أمر لا يُحسنونه ؛ فرحم الله امرأ عَرَف قدر نفسه .

ولا يجوزُ لهم الاشتغال بالجرح والتَّعديل قبل أن يتفَقَّهوا في هذا العِلْم ، ويَضبطُوا قواعده ...

أمَّا أن يُجعلَ هذا العلم مُبتدلاً لكلِّ أحدٍ حتَّى الجُهَّال ومن هم حديثو عهد بالإسلام ؛ فهذا أمر في غاية الخطورة ، جعلَ بعضُ صغار طلبة العلم يُطبِّقونه على غير منهج السَّلَف الصَّالح !

والواجبُ أن نَكِلَ هذا الأمر للعلماء الرِّبَّانين الذين يُتَقَنون هذه الصُّنعة ، بدلاً من الخوض فيها لا يُحسنون ؛ فأرجع الحقَّ إلى نِصابه ، وأعطِ اللَّيْث مَنيع غايه ، حتَّى لا تَزَلَّ قدمٌ بعد ثبوتها ؛ فتندمُ ساعة لا ينفعُ الندم .



وهنا أنبه على بعض الضوابط التي أظن أن الخلل الحاصل في تطبيقها اليوم كان السبب الأساس فيما يجري من تنافر وتباغض بين أصحاب الطريق الواحد ، وسأكتفي بالإشارة إليها لئلا أطيل .

وسأقدم لها بذكر كلام لبعض أفاضل المشايخ المعاصرين ، حيث إنهم أشاروا إلى كثير من هذه الضوابط السنية السنية .

وأبدأ بالنقل عن الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ حيث قال : (والخلاصة : أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محلّه ، والشدة في محلّها ؛ فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك ، ولا يجوز - أيضًا - أن يوضع اللين في محلّ الشدة ، ولا الشدة في محلّ اللين ، ولا ينبغي - أيضًا - أن يُنسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط ، ولا أنها جاءت بالشدة فقط ؛ بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، ولإصلاح جميع الأمة .

ولذلك جاءت بالأمرين معا ، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة ؛ فهي شريعة سمحة في أحكامها ، وعدم تكليفها ما لا يطاق ، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق ؛ فإذا لم يؤثر ذلك ، وتجاوز الإنسان حدّه وطغى وبغى أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويُعرفه سوء عمله .

ومن تأمل سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وأئمة الهدى بعدهم عرف صحّة ما ذكرناه .

النُّصوص الآمرة باللين في مجاله :

ومما ورد في اللين قوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] الآية ، وقوله تعالى في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] الآية .

النُّصوص الدالة على الشدة في مجالها :

ومما ورد في الشدة الآيات المتقدم ذكرها^(١)

ومن الأحاديث ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تلى قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ - ٧٩]

(وقد ذكرها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في بداية هذا المقال ، وهي :

قول الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا أَلْكُفَّارَ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٣]

وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَتَلْأَلُوهَا النَّارُ لَوْلَا ذَلِكَ لَفُتِنَ بَيْنَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : فَشَرَعَ اللَّهُ سبحانه لعباده المؤمنين الغلظة على الكفار والمنافقين حين لم تُؤثِّرْ فيهم الدعوة بالحكمة واللين .

قال : « والذي نفسي بيده ! لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، ولتأخذنَّ على يدِ السَّفيه » وفي لفظ آخر : « على يد الظَّالم ، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً ، أو لتقصرنَّه على الحقِّ قصراً ، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم »^(١)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لقد هممتُ أن أمر بالصَّلَاة فتقام ، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق برجال معهم حُزَم من حَطَبٍ إلى قوم لا يشهدون الصَّلَاة ؛ فأحرق عليهم بيوتهم »^(٢)

ورُوي عنه ﷺ أنه قال : « لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم »^(٣)

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما بعث الله من نبيٍّ في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهدون بأمره ، ثم إنَّها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ؛ فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »^(٤)

(أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٢٦٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٣٩) وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢٦٧) وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٩٨))
(متفق عليه : أخرجه البخاري (٢٤٢٠) ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .)
(أخرجه أحمد في مسنده (٨٧٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .)
(أخرجه مسلم في صحيحه (٥٠) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .)

وقصّة الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك من غير عُذر معلومة لدى أهل العلم ، وقد هجرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خمسين ليلة حتّى تابوا ؛ فتاب الله عليهم ، وأنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ التوبة : ١١٧ - ١١٨ [الآية (١) .

فمما تقدّم من الآيات والأحاديث يعلم الكاتب وغيره من القراء : أنّ الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت باللين في محلّه ، والغلظة والشدّة في مجالهما (٢)

وقال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر بعد أن ذكر بعض النصوص الناهية عن الظنّ السيء بالمسلم : (وهذا كُلُّه لا يمنع من نصيحة مَنْ أخطأ مِنْ أهل العلم أو الدعاة إلى الله في شيء من عمله أو دعوته أو سيرته ؛ بل يجبُ أن يوجّه إلى الخير ، ويُرشّد إلى الحقّ بأسلوب حسن ، لا باللمز وسوء الظنّ والأسلوب العنيف ... ! فإنّ ذلك يُنفّر من الحقّ أكثر ممّا يدعو إليه ، ولهذا قال عز وجل لرسوليه موسى وهارون لما بعثهما إلى أكفر الخلق في زمانه : ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه : ٤٤ [

وأخبر الله عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جبّله عليه من الرفق والحكمة واللين واللطف في الدّعوة فقال سبحانه : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَهْتُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] الآية .

(والقصة بطولها متفق عليها : أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٢٠٥-٢٠٧)

وأمره سبحانه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فقال عز وجل: ﴿ادْعُ

إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]

وهذا الأمر ليس خاصاً به صلى الله عليه وسلم بل هو موجهٌ إليه وإلى جميع علماء الأمة وإلى كل داع يدعو إلى حقٍّ ؛ لأنَّ أوامر الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تخصُّه ؛ بل تعمُّ الأمة جميعاً ؛ إلا ما قام الدليل على أنه خاصُّ به .

ولقول الله سبحانه : ﴿﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية .

ولقوله عز وجل : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ

مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وقوله سبحانه : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » (١)

وقال صلى الله عليه : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » (٢)

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ » (٣)

(أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٢) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون قوله : « كله » إلا أنها زيادة صحيحة كما صححها الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠٦)

(أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

في أحاديث كثيرة تدلُّ على أَنَّ الواجبَ على الدُّعاة إلى الله سبحانه والنَّاصحين لعباده أن يتخيَّروا الأساليب المُفيدة ، والعبارات التي ليس فيها عنف ولا تنفير من الحقِّ ، والتي يُرجى من ورائها انصياعُ مَنْ خالف الحقَّ إلى قَبوله ، والرَّضى به ، وإيثاره ، والرجوع عمَّا هو عليه من الباطل .. وأن لا يَسْلُكَ في دعوته المسالك التي تُنفِّر من الحقِّ ويدعو إلى ردِّه وعدم قَبوله (أهـ^(١))

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر : (أمَّا أسلوبُ الدَّعوة : فبينه الربُّ جلَّ وعلا ، وهو الدَّعوة بالحكمة ، أي بالعلم والبصيرة ، بالرِّفق واللين لا بالشدة والغلظة . هذا هو الأسلوب الشرعي في الدَّعوة ؛ إلَّا مَنْ ظَلَم ؛ فمن ظَلَم يُعامل بما يستحق ، لكن من يتقبَّل الدَّعوة ، ويُصغي إليها ، أو تَرجو أن يتقبَّلها لأنه لم يُعارضك ولم يظلمك .. فافرق به .

يقول جل وعلا في كتابه العظيم : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]

فالحكمة : هي العلم ، قال الله ، قال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والموعظة الحسنة : التَّرجيب والتَّرهيب ، تُبيِّن ما في طاعة الله من الخير العظيم ، وما في الدُّخول في الإسلام من الخير العظيم ، وما عليه إذا استكبر ولم يقبل الحقَّ ... إلى غير ذلك .

(١) مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (٤٦٢/٢٧-٤٦٤)

أَمَّا الجِدَالُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ : فمعناه بَيَانُ الأدلَّةِ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ عِنْدَ وَجُودِ الشُّبْهَةِ لِإِزَالَتِهَا وَكَشْفِهَا ؛ فَعِنْدَ الْمُجَادَلَةِ تُجَادَلُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، وَتَصْبِرُ وَتَتَحَمَّلُ كَمَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]

فَالظَّالِمُونَ لَهُمْ شَأْنٌ آخَرُ ، لَكِنْ مَا دُمْتَ تَسْتَطِيعُ الْجِدَالَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، وَهُوَ يَتَقَبَّلُ أَوْ يُنْصِتُ أَوْ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرٍ لَا يُعَدُّ فِيهِ ظَالِمًا وَلَا مُعْتَدِيًا = فَاصْبِرْ وَتَحَمَّلْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْجِدَالِ الْحَسَنِ ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ » (١)

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وَنَبِيُّنَا أَكْمَلَ النَّاسَ فِي دَعْوَتِهِ ، وَأَكْمَلَ النَّاسَ فِي إِيمَانِهِ ، لَوْ كَانَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ وَتَرَكُوهُ ؛ فَكَيْفَ أَنْتَ ؟ !
فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَتَحَمَّلَ ، وَلَا تَعْجَلَ بِسَبِّ أَوْ كَلَامِ سَيِّئٍ أَوْ غِلْظَةٍ ، وَعَلَيْكَ بِاللِّينِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ ...

وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ لِفِرْعَوْنَ مَاذَا قَالَ لَهُمَا ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤] فَأَنْتَ كَذَلِكَ ؛ لَعَلَّ صَاحِبَكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٥٣) عن النّوّاس بن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفَقْ بِهِ ، اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشَقِّ عَلَيْهِ »^(١) وهذا وعدٌ عظيم في الرَّفق ، ووعد عظيم في المشقَّة .
ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ = يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ »^(٢)
ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِالرَّفْقِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ »^(٣)

فالواجبُ على الدَّاعي إلى الله أَنْ يَتَحَمَّلَ ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ الأسلوبَ الحسنَ الرَّفِيقَ اللَّيِّنَ في دَعْوَتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرَ جَمِيعًا ، لَا بَدَّ مِنَ الرَّفْقِ مَعَ الْمُسْلِمِ وَمَعَ الْكَافِرِ ، وَمَعَ الْأَمِيرِ وَغَيْرِهِ ، وَلَا سِيَمَا الْأَمْراءَ وَالرُّؤُساءَ وَالْأَعْيَانِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الرَّفْقِ وَالْأَسْلُوبِ الْحَسَنِ لَعَلَّهُمْ يَقْبَلُونَ الْحَقَّ وَيُؤْثِرُونَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ .

وهكذا من تَأَصَّلَتْ في نَفْسِهِ الْبِدْعَةُ أَوْ الْمَعْصِيَةُ ، وَمَضَى عَلَيْهِ فِيهَا السَّنُونُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ حَتَّى تُقْتَلَعَ الْبِدْعَةُ ، وَحَتَّى تُزَالَ بِالْأَدَلَّةِ ، وَحَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ شَرُّ الْمَعْصِيَةِ وَعَوَاقِبُهَا الْوَخِيمَةُ ؛ فَيَقْبَلُ مِنْكَ الْحَقَّ ، وَيَدَعِ الْمَعْصِيَةَ (أهـ)^(٤)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٢) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (انظر ص ٥٢)

(٣) انظر تحريجه في الصفحة : (٥٢)

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٦/٦ - ٤١٨)

وقال الشيخ محمد موسى رَحْمَةُ اللَّهِ^(١) : (لساحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ منهجٌ متميِّزٌ مع المخالفين ، ينطلق فيه من نصوص الشرع المطهر الآمرة بالصَّفح ، وأخذ العفو ، ودفع السيئة بالحسنة ، ومُقابلة الإساءة بالإحسان ، والبُعد عن كلِّ ما يُنافي العدل والإنصاف وشرف الخصومة .

فكان منهج ساحة الشيخ مع المخالفين له : أنه لا يُحْمَلُ كلامهم ما لا يحتمل ، ولا يتقوَّل عليهم ما لم يقولوه ، ولم يكن يذكرُّهم بسوء أو تجريح ؛ بل كان يحترمهم ويقدرهم ، ويتناسى أخطاءهم في حقِّه ، ويقبل عُذرَ المُعتذر إليه منهم ، خصوصًا من لهم سابقة وفضل .

وإذا زاره أحد من مُخالفيه أظهر له الفرح والتَّسامح ومزيد العناية ، وأظهر له المحبة والحفاوة على سبيل دعوته ، وتطبيب قلبه^(٢)

وقد ذكر الشيخ محمد موسى أمثلةً من ساحة الشيخ مع مُخالفيه وترفُّقه بهم رجاء هدايتهم ، أذكر منها موقفه مع مُحمَّد الغزالي :

(١) وقد كان مدير مكتب ساحة الشيخ ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ .

(٢) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ (٢٧٧) لمحمد بن إبراهيم الحمد .

قال الشيخ موسى رَحْمَهُ اللهُ : « لما قَدِمَ الشيخ محمد الغزالي رَحْمَهُ اللهُ إلى الرياض لاستلام جائزته المقدّمة من لجنة جائزة الملك فيصل العالمية ، زار سماحة الشيخ في منزله ، وكانت في ذلك الوقت ضجّة حول كتاب الشيخ الغزالي : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » وقد قرئ ذلك الكتاب على سماحة الشيخ

فلما زاره الغزالي احتفى به ، وأكرمه ولاطفه ، وسأله عن الدعوة في الجزائر ، وعن حاجتهم ، وأخبر بأنه على أتم الاستعداد لدعمهم ، وكان الشيخ الغزالي آنذاك رئيساً للجامعة في الجزائر.

وكان مجلس سمّاحته - كالعادة - عامراً بالزّائرين والسّائلين والمُحتاجين والضُّيوف ، وكان الهاتف لا يتوقّف رنينه ، وكان كُتّاب سمّاحته حوله يقرؤون ، وهكذا ... وكلّما سنّحت لسمّاحته فرصة التفت إلى الشيخ الغزالي وحيّاه ولاطفه ؛ فأعجب الغزالي بما رأى ، وكان ذلك بادياً عليه ، وفي تلك الأثناء قال سمّاحته للشيخ الغزالي : لقد قرأت كتابكم المذكور ، ولا يخفى عليكم أن البشر عرضة للخطأ ، ونحن وغيرنا عرضة لذلك ، وقد قرأت شيئاً من كتابكم ، وعليه بعض الملحوظات .

فقال الشيخ الغزالي : أنا يُسعدي أن تُكملوا قراءته ، وأن تُوافوني بما تلاحظونه ، وأنا - إن شاء الله - أصلحه ، وذكر كلاماً نحو هذا .

:

:

) :

)

(...

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

...

الْفَحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[:]

..

...

: ﴿إِنَّ هَذِهِ

-

-

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [:] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [:]

.

- -

!

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [:]

﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَالٍ مَهِينٍ﴾ ⑩ هَمَزٌ مَشَاءٌ بِنَعِيمٍ ⑪ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتِيمٍ﴾ [: -]

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ

نَدِمِينَ﴾ [:] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا

لِمَنْ أَلْفَيْتُمْ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [:]

!

...

()

:

:

!

) : (()

(

.

() (

:

() : ()

- -

) :

...

...

()_t

(-) ()

- -

) :

: ..

..

() (

) :

-

-

!

!

-

-

-

-

:

!

() (

(/)

-

()

(- /)

()

-

-

) ∴ — —
— —

∴

! ∴
() (

! — —
) ∴ — —

) ∴ !

((

() (

(— /) ()
() ∴ (

— —

:

)

:

.

:

:

.

:

•

:

.

- -

.

.

:

(())

.

:

.

■

.

■

.

■

- -

.

!

!...

.

.

:

.

()_l

(

.

- -

:

) :

(

) :

:

:

) :

()

:

:

!

.

() :

()

- -

⋮

•

⋮

•

•

⋮

•

⋮

•

⋮

⋮

•

— —

:

:

:

()

.

:

:

.

- : -p`R= í

- -

:

..

.

:

):

()(

:

(

)

.

:

):

()(

:

(/)

(

(/)

(

- -

❖ الخطأ يُنكر مُطلقاً وأمّا الإنكارُ على المخطئ فيختلف باختلاف حاله

فالحاكم المسلم - مثلاً - لا تُذكر أخطاؤه أمام العامة والدَّهماء وعلى المنابر ، وإنّما يذهب إليه ويُنكر عليه بحضرته ، أو يكتابه ويناصحه سرّاً فيما بينه وبينه ، أو يكتفي بإنكار الخطأ دون ذكر اسمه .

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لَذِي سُلْطَانٍ فِي أَمْرٍ : فَلَا يُبْدِهِ عِلَانِيَةً ، وَلَكِنْ : لِأَخْذِ بِيَدِهِ ؛ فَيُخْلُوا بِهِ ؛ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ » (١)

فإن الخطأ والزَّلَل لا بدّ من بيانه للناس ، وتحذيرهم من الوقوع فيه بالطُّرق الشرعية ، وأمّا المخطئ إن كان من أهل العلم المعروفين بالخير والصلاح ... فإن الواجب الأخذُ بيده ونصحه سرّاً ، وحفظ كرامته ومكانته أمام النَّاس ، والدُّعاء له بالخير والهداية والصلاح .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَمَنْ عُلِمَ مِنْهُ الاجتهاد السائغ : فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُذَكَّرَ عَلَى وَجْهِ الذَّمِّ وَالتَّائِيهِمْ لَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَهُ خَطَأَهُ ؛ بَلْ تَجِبُ - لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى - مُوَالَاتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَالْقِيَامُ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ حَقُوقِهِ ، مِنْ ثَنَاءٍ وَدَعَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ) (٢)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٢٦٩) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٧) والبيهقي في سننه (١٦٦٠) عن عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٠٩٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٤/٢٨)

ويتأكد هذا الأمر كلما كان المخطئ أقرب إلى العلماء منزلةً .

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ : (إن الكبير من أئمة العلم : إذا كثر صوابه ، وعُلم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرف صلاحه وورعه وأتباعه : يُغفر له زلله ، ولا نُضللّه ونطرحة وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك)^(١)

ولا يُقبلُ قدحٌ من قدح فيه ؛ بل ولا يُلتفتُ إليه إلا ببيّنة ودليل واضح جليّ ، كالشمس في رائعة النهار .

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ : (مَنْ صَحَّتْ عدالته ، وثبتت في العلم إمامته ، وبانت ثقته ، وبالعالم عنايته : لم يُلتفت فيه إلى قول أحد ؛ إلا أن يأتي في جرحته بيّنة عادلة ، يصحُّ بها جرحته على طريق الشهادات ، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك ، بما يُوجب تصديقه فيما قاله ؛ لبراءته من الغلّ والحسد والعداوة والمنافسة ، وسلامته من ذلك كلّ)^(٢)

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧١/٥)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٠٩٣/٢)

وقال - أيضًا - رَحِمَهُ اللهُ : (إِنَّ السَّلَفَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَدْ سَبَقَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضِ كَلَامٍ كَثِيرٍ ، مِنْهُ فِي حَالِ الْغَضَبِ ، وَمِنْهُ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ الْحَسَدُ) كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم (وَمِنْهُ عَلَى جِهَةِ التَّأْوِيلِ مِمَّا لَا يَلْزَمُ الْمَقُولُ فِيهِ مَا قَالَهُ الْقَائِلُ فِيهِ ، وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالسَّيْفِ تَأْوِيلًا وَاجْتِهَادًا لَا يَلْزَمُ تَقْلِيدُهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ دُونَ بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ تُوجِبُهُ)^(١)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ (يُعْلَمُ صِدْقُ الشَّخْصِ : تَارَةً بِاخْتِبَارِهِ وَمُبَاشَرَتِهِ ، وَتَارَةً بِاسْتِفَاضَةِ صِدْقِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ التَّعْدِيلَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ السَّبَبِ ؛ فَإِنَّ كَوْنَ الشَّخْصِ عَدْلًا صَادِقًا لَا يَكْذِبُ لَا يَتَبَيَّنُ بِذِكْرِ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ ، بِخِلَافِ الْجَرَحِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مُفَسَّرًا عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ)^(٢)



(١) جامع بيان العلم وفضله (١٠٩٣/٢)

(٢) العقيدة الأصفهانية (٢٠٠)

❖ تفريق السلف الصالح في التعامل مع أهل البدع بحسب اختلاف القوة والضعف

فإذا قويت السنة وظهرت ؛ فإنَّهم يُعاقبون أهل المعاصي والبدع على قدر معصيتهم وبدعتهم بما يَزجرهم ، ويزجر الناس عن فعلهم ، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الثلاثة الذين خُلِّفُوا ، قبل أن تنزل توبتهم من عند الله ، وكما فعل الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع صَبِيغ ، وعلى مثل هذا سار أئمة الإسلام

وأما إن ضُعِفَت السنة وصار أهلها كالغرباء (كما هو الحال في عامة بلاد الإسلام اليوم فضلا عن غربة أهل الإسلام في بلاد الكفر) فإنَّهم يُراعون المصلحة الشرعية في ذلك

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر أن الهجرة تكون تارة نوعاً من التقوى وتارة من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي المهجرتين : بين القادر والعاجز ، وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته وقوته وضعفه)^(١)

وسئل الإمام أحمد عَمَّن قال القرآن مخلوق ؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ : (ألحق به كل بلية ؛ فقليل : فيظهر العداوة لهم أم يُداريهم ؟ فقال : أهل خراسان لا يَقْوُونَ بهم)^(٢)

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١١)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٠)

❖ ويُقدِّمون المصلحة الشرعية في هجر المبتدع

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن ضوابط هجر المبتدع : (فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد ؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها = لم تكن هجرة مأمورًا بها ، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان ؛ إذ ذاك : أنهم لم يكونوا يَقَوُّونَ بالجهمية ؛ فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مُداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي)^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (وكذلك لما كثر القدرُ في أهل البصرة ؛ فلو تُرك رواية الحديث عنهم ؛ لاندرسَ العلمُ والسُّنَنُ والآثارُ المحفوظةُ فيهم ؛ فإذا تعذَّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس)^(٢)

(١) المصدر السابق (٢٨/٢١٢)

(٢) المصدر السابق (٢٨/٢١٢)

وبعض الناس - قديماً وحديثاً - يأتي بقول لإمام من أئمة السُّنة في أهل البدع ثم يُنزله على كل من وقع في بدعة ؛ بل في خطأ في مسألة اجتهادية !

وقد نبّه شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا فقال رَحِمَهُ اللهُ : (وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله ، أو خرج خطاباً لمعين قد علم حاله ؛ فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إنما يُثبت حكمها في نظيرها ؛ فإن أقواماً جعلوا ذلك عامّاً ؛ فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به ؛ فلا يجب ولا يُستحب ، وربما تركوا به واجبات أو مُستحبات وفعلوا به محرمات ، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ؛ فلم يهجرُوا ما أُمرُوا بهجره .

... ودينُ الله وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه)^(١)

(١) المصدر السابق (٢٨/٢١٣)

وأختم هذه النصيحة التي أوجَّهها إلى المسلمين كافة ، وطلبة العلم خاصّة بهذه الأبيات التي نظمْتُها مع أنِّي لستُ بشاعرٍ ، غير أنَّ الواقع الأليم الذي يعيشُهُ بعض طلاب العلم من التَّهاجر والتَّقاطع والتَّدابر والتَّنافر والتَّباغض بسبب وبدون سبب ! هذه الوضع الخطير أثارَ في القلب شُجونًا ومشاعرًا عبَّرت عنها بهذه القصيدة :

الحمدُ لله العَظيم الشَّانِ	في كلِّ يومٍ ربُّنا في شانِ
ثمَّ الصَّلَاةُ على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ	خيرِ البريَّةِ سيِّد الأَكْوانِ
أهلَ العقيدة شَمِّروا وتكاتفوا	في قولكم وفِعالكم بوزانِ
وامضُوا لدرب الخير واعلُّوا شأنه	واستبشروا بالنَّصر والرِّضوانِ
أنتم حُماة الدِّين فابنُوا صرحه	صرحًا عظيمًا شامخَ البُنيانِ
أنتم هُداة الحقِّ في غسقِ الدُّجى	فاستمسكوا بالحقِّ والإيمانِ
فلتستفيقوا ولتهبُّوا إخواني	وترفَّقوا في النُّصح للإنسانِ
إنِّي أهيبُ بإخواني أن يُجمِعُوا	لبناءِ صرحِ الحقِّ دونَ تَوانِ
فتراحموا وتعاونُوا إن رُمتمُوا	دَحَرَ العدا وإغاطةَ الفتانِ
يا أُمَّةً مِنهاجُها التَّوحيدُ فلدَّ	تتراحمي يا أُمَّةَ الفرقانِ
إنِّي أرى شَبَحًا مُخيفًا مُحَدِّقا	بِصُفوفكم يا دُرَّةَ العِقيانِ
قُوموا بعِزمٍ وارحمُوا إخوانكم	وتأهَّبوا للعرَضِ والميزانِ
وتذكَّروا يومًا عَبوسًا آزِفًا	فيه الحِسابُ وصِليَةُ النِّيرانِ
ودعُوا الخلافَ ولملمُوا أطرافكم	وتمسَّكوا بالشرعِ والفرقانِ

واستمسكوا بالعروة الوثقى ولا
وتذكروا يوم القيامة دائماً
ربّاهُ أشكو ضَعْفنا وهواننا
شَبَحْ رهيبٌ فيه فَرَطُ صفوفكم
فلتتقوا اللهَ الرَّحِيمَ لَعَلَّهُ
شَمِتَ الأعدائي وانبروا لِحِصَارِنَا
إِنَّ القُلُوبَ لَقَدْ تَنَافَرَتْ وَذُهَا
والشَّامِتُونَ بنا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ
ربّاهُ مَنْ يَدْعُو أَصِيحَابِي إِلَى
ما هَذِهِ الأحكامُ تصدرُ فجأةً
وَتَصَدَّرُ الأحداثُ للفتنِ الَّتِي
قامَ الأصَاغِرُ يُرْجَفُونَ بَلَمَزِهِمْ
يا شيخنا « المُفْتِي » تَذَارَكْ أَمْرَنَا
هَبُّوا سَلِيلَ المَجْدِ مَعَ إِخْوَانِكُمْ
وكذا « اللُّحِيدَانُ » الَّذِي أَفْضَالُهُ
يا شَيْخَنَا المِفْضَالَ « عَبْدَ المُحْسَنِ »
قُمْ يا « رَبِيعَ » الخَيْرِ واذْعُ شَبَابَنَا
هذا معالي الشَّيْخِ « صَالِحٌ » دائماً

تَسْتَسْلِمُوا لِحَبَائِلِ الشَّيْطَانِ
يَوْمٌ يُشِيبُ مَفَارِقَ الوِلْدَانِ
وشماتةُ الأعداءِ ذَوِي البُهْتَانِ
ووقوعكم في الظُّلْمِ والهَجْرَانِ
يُنْجِيكُمْ مِنْ مَوْقِفِ الخُسْرَانِ
جَرَاءَ بَعْضِ جَهَالَةِ الغِلْمَانِ
وتباعدتُ في السَّرِّ والإِعْلَانِ
وقد استغلَّوا فُرْقَةَ الإِخْوَانِ
جَمَعَ الصُّفُوفَ بِشِرْعَةِ الرَّحْمَنِ
بالظُّلْمِ والتَّبْدِيعِ والهَجْرَانِ ؟!
لم يَنْجُ مِنْهَا العَالَمُ الرَّبَّانِي !
بالبِتْرِ والإِلْزَامِ والهَذْيَانِ
بالنُّصْحِ والتَّوَجُّهِ والتَّيْبَانِ
دُرَّرَ الزَّمانُ كـ « صَالِحِ الفُوزَانِ »
معروفةٌ في سائرِ الأوطانِ
سَاهِمٌ بِجُهِدِكَ يا أَخَا العِرْفَانِ
واجْهَدْ لِرَأْبِ تَصَدُّعِ البُنْيَانِ
يدعو الشَّبَابُ بِعِزْمَةٍ وَتَفَانٍ

سيروا على النَّهْجِ الصَّحِيحِ وَشَمُّرُوا	وتنافسوا في البرِّ والإحسانِ
وكذا « الفَقِيهِي » شيخُنَا أَكْرَمَ بِهِ	يَنْهَى أَصِيحَابِي عَنِ الشَّنَّانِ
وأخي « عُبَيْدٌ » جُهِدَهُ مُتَوَاصِلٌ	يدعو إلى الحقِّ العَظِيمِ الشَّانِ
يا صفوةَ الأَشْيَاخِ أعلامِ الهدى	هَاتُوا الدَّوَالِ تَشْتَتِ الْخِلَافُ
أَنْتُمْ حُمَاةُ الدِّينِ عَلَيْهِ قَوْمُنَا	قُومُوا بِرَأْبِ الصَّدْعِ كُلِّ أَوَانِ
وختامُهَا أدعوا إِلَهِي مُخْلِصَا	بِنَجَاحِ مَجْهُودِ صِمَامِ أَمَانِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الْهُدَى	مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ وَغَرَّدَ ثَانِي

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ ، صَوَابًا عَلَى مَنْهَجِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْمَعَ الْقُلُوبَ ، وَيُؤَلِّفَ بَيْنَهَا ،
وَأَنْ يَسَلِّلَ سَخِيمَهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُوحِّدِينَ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَأَنْ يُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا جَمِيعًا إِلَى سِوَاءِ
السَّبِيلِ ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا مُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَكْتُبَنَا فِي عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فہرست

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

:

✱

.....

■

.....

■

.....

■

:

✱

.....

—

.....

—

.....

—

.....

—

.....

—

.....

—

.....

*

... ..

—

.....

*

.....

—

.....

—

.....

—

.....

—

.....

—

... ..

—

.....

—

.....

—

.....

—

.....

*

.....

—

—

•
•

.....

•

.....

*

.....

•

.....

•

.....

•

.....

•

.....

•

.....

•

.....

•

•
•

*

.....

✓

..

✓

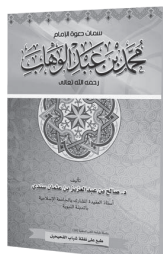
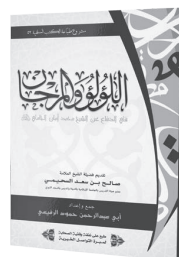
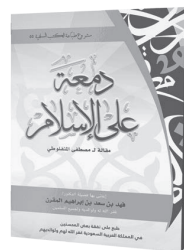
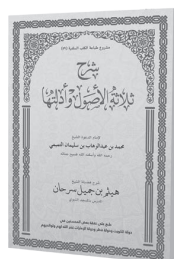
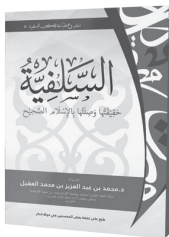
.....

✓

.....

.....

.....



بالتعاون مع



تواصل معنا عبر الواتساب
@aldeen_alsal9



بدولة قطر



مشروع طباعة الكتب السلفية

بدولة الكويت

لدعم المشروع

والتواصل عبر الواتساب
(965) 96669705



تواصل معنا عبر تويتر
@SalfiBooks

